ما أنا والخمر

وعرض عليه الشراب فأبى وقال:

[السريع]

مَـا أَنَـا وَالْـخَـمـرُ وَبِـطِّـيـخَـةٌ
سَـوْدَاءُ فِـي قِـشْـرٍ مِـنَ الـخَـيْـزُرَانْ[١]
يَـشْـغَـلُـنِـي عَـنْـهَـا وَعَـنْ غَـيْـرِهَـا
تَـوْطِـيـنِـيَ الـنَّـفْـسَ لِـيَـوْمِ الـطِّـعَـانْ[٢]
وَكُـلُّ نَـجْـلَاءَ لَـهَـا صَـائِـكٌ
يَـخْـضُـبُ مَـا بَـيْـنَ يَـدِي وَالـسِّـنَـانْ[٣]

ما الخوف إلا ما تخوّفهُ الفتى

عزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنبوس سنة أربعين وثلاث مئة (٩٥١م) وبلغه أن العدو في أربعين ألفاً، فتهيبهم أصحابه فأنشد أبو الطيب:

[الطويل]

تَـزُور دِيَـاراً مَـا نُـحِـبُّ لَـهَـا مَـغْـنَـى
وَنَـسْـأَلُ فِـيـهَـا غَـيْـرَ سَـاكِـنِـهَـا الْإِذْنَـا[٤]

---

(١) و (٢) يبدي الشاعر عدم اهتمامه بما يرى، ممّا يُوحي بأنه لا يهتم بما يأكل من بطيخ وسواه فشغله الشاغل أنه قد وطّن نفسه على القتال، وهيّأها ليوم طعان، لذا فقشرة البطيخة والخمرة لمن لا همّ له في هذه الحياة سوى ملء معدة لتفاهته.

(٣) النجلاء: الواسعة. الصائك: اللازق. يُتابع الشاعر متحدّثاً عمّا يُهمّه أن يطعن برمح يُمزق أحشاء عدوه، وقد أخرجه فإذا بسنانه يخضب دماً.

(٤) المغنى: المنزل الآهل بأصحابه. يبدأ الشاعر قصيدته مثيراً في النفوس الحميّة وروح القتال متحدثاً بلسان الجماعة ونا الجماعة تعني الاتحاد. إنها زيارة لديار غريبة عن جند سيف الدولة لذا فهو السيد الذي يُستأذن لمقاتلة الروم. وإن كانت البلاد بلاد الروم فليس لهم الحقّ بالاستئذان، لأنهم وإن كانت ديارهم فلا بدّ من الرجوع إلى سيف الدولة في أمر كهذا.

نَـقُـودُ إِلَـيْـهَـا الآخِـذَاتِ لَـنَـا الْـمَـدَى
عَـلَـيْـهَـا الْـكُـمَـاةُ الْـمُـحْـسِـنُـونَ بِـهَـا ظَـنَّـا[١]
وَنُـصْـفِـي الَّـذِي يُـكْـنَـى أَبَـا الْـحَـسَـنِ الْـهَـوَى
وَنُـرْضِـي الَّـذِي يُـسْـمَـى الْإِلٰـهَ وَلَا يُـكْـنَـى[٢]
وَقَـدْ عَـلِـمَ الـرُّومُ الـشَّـقِـيُّـونَ أَنَّـنَـا
إِذَا مَـا تَـرَكْـنَـا أَرْضَـهُـمْ خَـلْـفَـنَـا عُـدْنَـا[٣]
وَأَنَّـا إِذَا مَـا الْـمَـوْتُ صَـرَّحَ فِـي ٱلْـوَغَـى
لَـبِـسْـنَـا إِلَـى حَـاجَـاتِـنَـا الـضَّـرْبَ وَالـطَّـعْـنَـا[٤]
قَـصَـدْنَـا لَـهُ قَـصْـدَ الْـحَـبِـيـبِ لِـقَـاؤُهُ
إِلَـيْـنَـا وَقُـلْـنَـا لِـلـسُّـيُـوفِ هَـلُـمَّـنَّـا[٥]
وَخَـيْـلٍ حَـشَـوْنَـاهَـا الأَسِـنَّـةَ بَـعْـدَمَـا
تَـكَـدَّسْـنَ مِـنْ هَـنَّـا عَـلَـيْـنَـا وَمِـنْ هَـنَّـا[٦]

(١) المدى: الغاية. الكماة، الواحد كمي: البطل الشاكي السلاح. إن تلك الديار غاية جيش الدولة، ففيه كل بطل صنديد يُحسن فنون القتال ويكرّ على العدو بطلاً صنديداً يمتطي جواداً مجرّباً جال في تلك الديار وأعمل فيها فساداً، يمرق كالسهم.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٣. نصفي: نمحّص. يدعو الشاعر أتباع الأمير إلى أن يُخلصوا له الأمانة ويقاتلوا تحت لوائه، فضلاً عن أن الجهاد ضدّ أعداء الدين هو مرضاة اللّه سبحانه وتعالى؛ إنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد.

(٣) يُتابع الشاعر أن الروم هم على يقين أن جند سيف الدولة لا بدّ أنهم عائدون ليذيقوهم الأمرين وليجوسوا ديارهم في كل حين.

(٤) ورد البيت في المحتسب، لابن جني ١: ٢٣١. صرّح: برز وظفر. الوغى: الحرب. يُردف الشاعر أن جند الأمير هم يُبادرون إلى الحرب دون إبطاء في حال بدت نذرها في الأفق، فإذا بهم يتّقونها بسلاحهم فكان ضرب وطعن، فكان ذلك خير لباس ووقاية.

(٥) هلمّ: اسم فعل أمر بمعنى أسرع. الجواب البديهي من قبل جيش سيف الدولة الإسراع إلى المعركة بروح عالية ملؤها الحبّ في الجهاد، وكأن الأمر يتعلق بلقاء حبيب، واللغة الجامعة بين السيوف التي تنطق بلغة العشّاق.

(٦) يُتابع الشاعر رسم صورة المعركة، تتدافع خيول الأعداء لتلاقي مصيرها البائس إذ =

ضُـرِبْـنَ إلَـيْـنَـا بـالـسِّـيَـاطِ جَـهَـالَـةً
فَـلَـمَّـا تَـعَـارَفْـنَـا ضُـرِبْـنَ بِـهَـا عَـنَّـا[١]
تَـعَـدَّ الـقُـرَى وَالْـمُـسْ بِـنَـا الْـجَـيْـشَ لَـمْـسَـةً
نُـبَـارِ إلـى مَـا تَـشْـتَـهِـي يَـدُكَ الـيُـمْـنَـىْ[٢]
فَـقَـدْ بَـرَدَتْ فَـوْقَ الـلُّـقَـانِ دِمَـاؤُهُـمْ
وَنَـحْـنُ أُنَـاسٌ نُـتْـبِـعُ الـبَـارِدَ الـسُّـخْـنَـا[٣]
وَإنْ كُـنْـتَ سَـيْـفَ الـدَّوْلَـةِ الْـعَـضْـبَ فِـيـهِـم
فَـدَعْـنَـا نَـكُـنْ قَـبْـلَ الـضِّـرَابِ الْـقَـنَـا الـلُّـدْنَـا[٤]
فَـنَـحْـنُ الأُلَـى لَا نَـأْتَـلِـي لَـكَ نُـصْـرَةً
وَأَنْـتَ الَّـذِي لَـوْ أَنَّـهُ وَحْـدَهُ أَغْـنَـى[٥]

= برماح جيش سيف الدولة توجّه إليها إيذاناً بنصر عظيم، ومع اشتداد أوار المعركة تتكدّس أشلاء القتلى وقد اختلطت بأجساد الخيول التي لقيت مصرعها من الأعداء.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٣. يذكر الشاعر ما حدث لتلك الخيول، فقد ظنّ الروم أن خيول سيف الدولة خيول صديقة، ولما تبيّن لهم أنها خيول جيش سيف الدولة حاولوا الارتداد فإذا بهم يتصادمون وتكون الواقعة عنيفة، فهم يضربون بعضهم وجند الأمير يلاحقونهم بالقتل والتنكيل.

(٢) يروى «نبادر» بدلاً من «نُبار». تعدّ: تخطَّ. نبار: نسابق. يطلب الشاعر من الأمير حاثاً إيّاه على المبادرة والمرور بالقرى ليدرك جيش الروم دون إبطاء وتكون المفاجأة، ويُتبعها النصر المؤزّر، وهذا ما تتمنّاه يده اليمنى التي يُحالفها التوفيق.

(٣) اللّقان: موضع في بلاد الروم. يذكر الشاعر ممدوحه بدوام انتصاراته، فقد شهدت اللقان هزيمة الروم، ولا زالت دماؤهم التي تجمّدت وبردت شاهدة على ذلك، ومن طبع جيش سيف الدولة أن يُلحق تلك الدماء الباردة المتجمّدة بدماء حارّة تتجدّد باستمرار.

(٤) العضب: السيف البتّار. القنا: الرماح. يُخاطب الشاعر الأمير، إنه سيف قاطع يقطع دابر الأعداء، لذا يلمس الشاعر أن يكون مع الجيش بمثابة رماح لدنة تقضي عليهم ليكون النصر تامًّا بارز المعالم.

(٥) الألى: الذين. لا نأتلي: لا نقصّر، يُردف الشاعر أن جيش الأمير من طبيعته أنه لا يُقصّر في أداء مهامه في القتال، وإن كان الأمير وحده كفؤاً لأعدائه.

يَـقِـيـكَ الـرَّدَى مَـنْ يَـبْـتَـغِـي عِـنْـدَكَ الْـعُـلَـى
وَمَـنْ قَـالَ لَا أَرْضَـى مِـنَ الْـعَـيْـشِ بِـالأَدْنَـى[١]
فَـلَـوْلَاكَ لَـمْ تَـجْـرِ الـدِّمَـاءُ وَلَا الـلُّـهَـى
وَلَـمْ يَـكُ لِـلـدُّنْـيَـا وَلَا أَهْـلِـهَـا مَـعْـنَـى[٢]
وَمَـا الْـخَـوْفُ إِلَّا مَـا تَـخَـوَّفَـهُ الْـفَـتَـى
وَلَا الأَمْـنُ إِلَّا مـا رَآهُ الْـفَـتَـى أَمْـنَـا[٣]

فهل لك نعمى

قال وقد أهدى إليه سيف الدولة ثياب ديباج ورمحاً وفرساً معها وكان المهر أحسن:

[الطويل]

ثِـيَـابُ كَـرِيـمٍ مَـا يَـصُـونُ حِـسَـانَـهَـا
إِذَا نُـشِـرَتْ كَـانَ الـهِـبَـاتُ صِـوانَـهَـا[٤]

---

(١) الردى: الموت. الأدنى: الدون، يُعلن الشاعر عن أنه على استعداد للتضحية بمهجته في سبيل الحفاظ على حياة الأمير، وفي ذلك علو شأنه ونباهة ذكره، وهذا ما يسعى إليه رغم أنه لا يقبل الذل وينفر من أن يكون دون ذلك.

(٢) اللّهى، الواحدة لهية: العطايا. يرى الشاعر أن الأمير هو سرّ إراقة الدماء رخيصة في سبيل الحفاظ عليه، وكذلك التضحية بالأموال في سبيل بقائه حيًّا، وفي حال فقده أو غيابه فلن يكون للحياة معنى أو لون من ألوان الفرح.

(٣) لم ينس الشاعر أن يُوجّه لوماً خفيفاً لجيش الأمير، فالخوف ينبع من نفس الفتى، وقد لا يكون له وجه يُبرّر وجوده، والأمن أيضاً ينبع من الذات فتنتفي أسباب الخوف، ويكون النصر المبين.

(٤) ورد البيت في حاشية يس على التصريح ١: ١٧٢. الصوان: كلّ ما يستعمل ليُصان فيه من المقتنيات. يبدأ الشاعر قصيدته منوّهاً بكرم سيف الدولة، فقد تلقّى من الأمير هديّة قيّمة؛ فالأمير لا يحتفظ في خزائنه بما هو ذات قيمة، بل إنه ينشر تلك الهبات لتُصان في خزائن حاشيته وأحبائه.